المدينة الإسلامية في وادي مزاب.

د./ عمر زعابة.
جامعة مصطفى إسطمبولي– معسكر.
o.zaaba@univ-mascara.dz
مصطفى دودو/ طالب دكتوراه علوم
معهد الآثار– جامعة الجزائر2.
Dmustech12@gmail.com

الملخص:

تتميّز المدن العتيقة في وادي مزاب بنمطها العمراني والمعماري الإسلامي المتميز من حيث وحدتها المتجانسة وتخطيطها المحكم، فكل مدينة قد بنيت على أعلى قمة الجبل لغرض دفاعي محض، يتوسطها المسجد الذي تعلوه مئذنة هرمية الشكل وتلتف حوله منازل تتخللها أزقة ضيقة وملتوية مشكلة بذلك حلقات دائرية حول المسجد، وفي سفح المدينة ساحة السوق للتعاملات التجارية، وكل مدينة محاطة بسور دفاعي تتخللها أبراج للمراقبة تمّ تصميمها وتخطيطها بهذا الوضع للحصانة الدفاعية وأن تكون في مأمن من سيلان الوادي وأن تحافظ على الأراضي الزراعية القليلة، وإنّ القيم الدّينية والفكرية، والطبيعة المناخية والجغرافية التي تتميّز بها منطقة سهل وادي مزاب لها تأثير كبير في تشكّل النسيج العمراني للمنطقة وفي التّصاميم المعماريّة المكوّنة له.

العمارة بوادي مزاب تتميّز بعدة خصائص، المتانة والجمال والوظيفية والبساطة والاقتصاد في الوسائل، فليست هناك مدنا مشيّدة بل هناك نظم وأعراف تتّبع وتطبّق، قائمة على التّدرّج في تقسيم المجالات حسب أصنافها وعلى حسب الهيكلة الاجتماعية المتشبّعة بالفكر الإباضي الذي يعتمد أساسا على مبادئ وقيم الدين الإسلامي الحنيف.

الكلمات المفتاحية: المدينة الإسلامية؛ العمران؛ العمارة؛ مزاب.

Abstract:

The ancient cities of valley M’zab are characterized by their distinctive Islamic urban and architectural style in terms of their homogeneous unity and tight planning., Every city has been built on top of the mountain for a purely defensive purpose, The mosque, which is surmounted by a pyramidal minaret, is surrounded by houses with narrow and twisted alleys, creating circular circles around the mosque, And at the foot of the city is the market square for business transactions, Each city is surrounded by a defensive fence interspersed with observation towers designed and planned in this situation for defensive immunity, safe from the flow of the valley and maintaining few agricultural land, Religious and intellectual values, The climatic and geographical nature of the valley M’zab plain area has a significant impact on the composition of the urban fabric of the area and in its architectural designs.

Architecture in the M’zab Valley has several characteristics, Durability, beauty, functionality, simplicity and economy in means, There are no cities built, but there are systems and customs that follow and apply, Based on the gradual division of areas by their types and on the social structure saturated with ibadite thought, which is based mainly on the principles and values of the Islamic religion.

Keywords: Islamic city; Urbanization; Architecture; M’zab.

أولا: البيئة الطبيعية لمنطقة وادي مزاب:

تمتاز منطقة وادي مزاب ببيئة قاسية وقاحلة تجتمع فيها قساوة المناخ الصحراوي بالأرضية الجبلية والرملية القاحلة (الحمادة).

1-1- الموقع الجغرافي:

ينتمي وادي مزاب إلى الحوض الشرقي للصحراء ويبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 600 كلم، وتقدر مساحته بحوالي 86106كلم^2.[1] (الشكل 01).

يقع وادي مزاب بين خطي عرض °32 و°33 '20 شمالا، وبين خطّي طول °0 '4 و°2 '50 شرقا، ويتراوح ارتفاعها عن سطح البحر من 300 إلى 800م، ويطلق على وادي مزاب اسم "الشبكة" بسبب الشعاب والوديان العديدة التي تلتقي في وادي واحد متّخذة شكل شبكة، ويبلغ طول الوادي حوالي 20كلم من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وقد بنيت على الهضاب الواقعة في ضفافه خمسة مدن، وهي العطف (تاجنينت)، وبنورة (آت بنور)، وغرداية (تغرديت)، وبني يزجن (آت يزجن)، ومليكة (أتمليشت).

1-2- جيولوجية وهيدروغرافية المنطقة:

وادي مزاب عبارة عن هضبة شبه مستوية، صخورها رسوبية تكونت في العصر الطباشيري، صخورها تتكوّن من كلس دولوميتي، وبفعل السيلان القوي للمياه في بداية العصر الجيولوجي الرابع وبعامل الحث بفعل المياه والرياح القوية تم تشكيل مجموعة معقدة من الوديان والشعاب، ومن أهم هذه الوديان نجد وادي مزاب والذي يستقبل مياه كل من وادي لعذيرة ووادي لبيض ووادي تزوز حيث يسقي واحات مليكة وغرداية، وتنسكب فيه من الغرب مياه وادي انتيسا الذي يسقي واحات بني يزجن، ومن الشرق وادي أزويل الذي يسقي جزءا من واحات بنورة، ثم يتّجه نحو العطف مرورا بزلفانة لينتهي ويصب في الأخير بسبخة الهيشة على بعد 16كلم من نقوسة شمال ورقلة^2.

1-3- المناخ:

لقد حدّد معدّل درجات الحرارة اليومية في شهر جانفي إلى حوالي 10°مع مدى حراري بين الليل والنهار يصل الى12°، وأمّا في شهر جويلية فيصل معدّل درجات الحرارة اليومية إلى 33° مع مدى حراري يصل الى17.5°، ويبلغ الحد السنوي الأدنى إلى 0°والحدالأقصى 46°[3].

1- Pierre Donnadieu et autres; Habiter le Désert, Les Maisons Mozabites, Recherches sur un type d'architecture traditionnelle: Architecture + Recherches/ Edition Pierre Mardaga, Bruxelles, 1977, p:24.

2 – يحيى بوراس، العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب، (نموذج بني يزقن)، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2002 م، ص:19.

3 -Claude Pavard; Lumières Du M' ZAB, Edition Dilroisse, Paris, France, p: 06.

أما معدّل الأمطار في السنة، فيصل إلى 50 و60 مم، وفي سنوات الجفاف فقد يصل إلى 20 و30 مم، وأقصى معدّل تم تسجيله وصل إلى 120مم، وأدنى معدّل وصل إلى 18مم، وقد تمّ تحديد ما يقارب 10 ايّام معدّل سقوط الامطار في السنة، ولكي يسيل الوادي يجب سقوط أمطار قوية وغزيرة خلال ساعات، ويصل معدل سيلان الوادي في كل سنتين او ثلاث[1].

الرطوبة فتصل في شهر أكتوبر وأفريل إلى 42 %، بينما تصل من ماي إلى سبتمبر الى 4%، تهب على المنطقة في فصل الشتاء رياح شمالية غربية باردة ومحمّلة بالرطوبة، وأمّا في فصل الصيف فتهب رياح شمالية شرقية قوية وساخنة، في حين تهب زوابع رملية من الجنوب الغربي خاصة في شهر مارس وأفريل وماي، وتصل سرعة الرياح القوية 16م/ثا أو أكثر، وتستمر لحوالي عشرين يوما في العام[2].

ثانيا- الإطار التاريخي لوادي مزاب:

كغيرها من المناطق الجزائرية يحتوي وادي مزاب على عدة شواهد أثرية، تبيّن تعاقب عدّة حضارات على المنطقة منذ فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة الاسلامية.

1- فترة ما قبل التاريخ: تحتوي منطقة مزاب علي شواهد ومخلّفات عديدة، تدل على وجود حضارات ما قبل التاريخ، حيث قام الباحث بيير روفو (Pierre Roffo) وجويل أبونو(Joel Aboneau) بدراسات وأبحاث تخص فترة ما قبل التاريخ في المنطقة[3]، ومن نتائج بحوثهم إحدى عشر محطّة تعود أدواتها البالغة عددها 2959 أداة إلى العصر الحجري الأوّل، وبالإضافة الى ذلك فإنّ المنطقة غنية بالرسومات الصخرية مثل رسومات حيوانية أو هندسية إلى جانب رسوم لبعض أجزاء الجسم البشري كاليد والرجل، وهذا كله يثبت أن إنسان ما قبل التاريخ استقر في هذه المنطقة[4].(الصورة 1،2)

2- الفترة الإسلامية:

يتم تقسيمها إلى فترتين الأولى تمتد من الفتوحات الإسلامية إلى بداية القرن 5هـ/11م، والثانية تمتد من مطلع القرن 5هـ/11 إلى نهاية القرن 9هـ/15م.

2-1- الفترة المبكرة: لا تشير كثيرا المصادر التاريخية والجغرافية لا من قريب ولا من بعيد إلى منطقة وادي مزاب في الفترة المبكرة، إذ كانت معزولة وليس لها شأن، وأغلب ما قيل عنها كان مجرد روايات شفوية تناقلتها الذاكرة الشعبية، وجاءت أوّل إشارة في كتاب سير الأيمة الرستميين لأبي زكرياء

1- Pierre Donnadieu et autres; op.cit., p:26.

2- Marcel Mercier; La civilisation Urbaine au M'zab, Ghardaia la Mystérieuse, Edition P et G. SOU BIRON, Alger, 1932, p :38.

3- Pierre Roffo, Contribution à l'Etude de la préhistoire du sahara Septentrional, Ancienne Imprimerie, Alger, 1934, p : 04.

4 - بلحاج معروف، العمارة الإسلامية، مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية، دار قرطبة ،2007م، ص:41.

حيث يذكر أنّ قبيلة زناتية يطلق عليها اسم "بنو مصعب" اعتنقت الاسلام على مذهب المعتزلة الواصلية[1]، قامت بتشييد بعض القرى فوق المرتفعات الصخرية.

ورد ذكر هذه القبيلة باسم "بنو مصاب" عند المؤرّخ يحيى بن خلدون حين تحدّث عن شعوب بني عبد الواد حيث يقول: "بادية من أهل الوبر استوطنوا الصحراء ينتجعون مراعيها من سلجماسة إلى جنوب إفريقية، وبجبل مصاب اليوم منهم بقايا أهل مدر"[2].

يشير عبد الرحمان بن خلدون على قبيلة مصاب في كتابه "العبر" ما نصه: "ومن بني واسين هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطري في القبلة بما دون الرمال، وعلى ثلاث مراحل من قصور بني ريغة في الغرب، وهذا الاسم اسم للقوم الذين اختطوها ونزلوها من شعوب بني بادين ووضعها في أرض حرة على أحكام وضراب ممتنعة في مسارحها، وبينها وبين الارض الحجرة المعروفة بالحمادة في سمت العرق متوسطة فيه قبالة تلك البلاد فراسخ في ناحية القبلة، وسكانها لهذا شعوب بني بادين من عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال فيمن يضاف إليهم من شعوب زناتة، وان كانت شهرتها مختصة بمصاب"[3].

يذكر جون هيغي[4]أنّ بالمنطقة نحو خمسة وعشرين قصرا، وذلك اعتماداً على مصادر إباضية لم نتمكّن من الاتّصال بها، وهي عبارة عن قرى بسيطة موزّعة على امتداد وادي مزاب، وقد اندثرت كلّها ولم يبق منها سوى بعض الأطلال والخرائب التي تمكنت الذاكرة الشعبية من الاحتفاظ بأسمائها ومنها: تلزضيت (قصر الصوف) وأولوال بالعطف، اثْمِزَّارْتْ بين بونورة ومليكة على يسار الوادي، بابا السعد بغرداية، تيريشين، تلات، تفيلالت وبوكياو وأقنوناي ببني يزجن، موركي والأحنش ببنورة، أغرم نواداي (القصر السفلي) بمليكة. (الصورة 3،4،5،6).

1- يوسف الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب دراسة اقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، 2003م، ، ص: 03. ينظر أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، الملل والنحل، تح أمير علي مهنا، ج1، ط6، دار المعرفة، بيروت، 1997م، ص: 59-63.

2 – أبو زكريا يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق وتح: عبد الحميد حاجيات ،ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1996م، ص:186.

3-عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج:7، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، د ت،ص:123.

4- Huguet, Le Pays du M’zab in Bull de la Société de Géographie d’Algérie, Imprimerie Typographique et Lithographique Sélion, Alger 1898, p: 153.

2-2- الفترة الثانية (من مطلع القرن 8هـ/11م إلى نهاية القرن 9هـ/15م):

أهم ما شهدته هذه الفترة هو تحوّل القبيلة الزناتية من حياة البداوة إلى الاستقرار، وبداية تخلّيها عن مذهب الاعتزال واعتناقها للمذهب الإباضي، على يد العالم الإباضي الداعية أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي الذي كان يرتاد المنطقة مع تلاميذه طلبا للكلأ والمرعى[1].

أما عن تاريخ تأسيس مدن مزاب السبع فيسودها بعض الاختلاف والغموض، فقد تمّ تأسيس المدن بالتتابع الكرونولوجي: العطف (تاجنينت):402هـ/1012م، وبنورة (آت بنور):438 . 458 هـ/1046 . 1056م، وغرداية(تغردايت):447هـ/1053م، وبني يزقن (آت يزجن):720 هـ/1321م،ومليكة (آت مليشت):756هـ/1385م، والقرارة 1041هـ/1631م وبريان في1090هـ/1679م.(الصورة 7،9،11)

ثالثا- النسيج العمراني لمدن مزاب:

إنّ القيم الدّينية والفكرية، والطبيعة المناخية والجغرافية التي تتميّز بها منطقة مزاب لها تأثير كبير في تشكّل النسيج العمراني الإسلامي للمنطقة وفي التّصاميم المعماريّة المكوّنة له.

تتميز المدن العتيقة في وادي مزاب بنمطها العمراني والمعماري الإسلامي المتميز من حيث وحدتها المتجانسة وتخطيطها المحكم، فكل مدينة قد بنيت على أعلى قمة الجبل لغرض دفاعي، يتوسطها المسجد الذي تعلوه مئذنة هرمية الشكل وتلتف حوله منازل تتخللها أزقة ضيقة وملتوية مشكلة بذلك حلقات دائرية حول المسجد، وفي سفح المدينة ساحة سوق للتعاملات التجارية، وكل مدينة محاطة بسور دفاعي تتخللها أبراج للمراقبة تمّ تصميمها وتخطيطها بهذا الوضع للحصانة الدفاعية وأن تكون في مأمن من سيلان الوادي وأن تحافظ على الأراضي الزراعية القليلة[2].(الشكل2)

يبتدأ الفريق المؤسّس للمدينة (حلقة العزّابة) ببناء المسجد بعد اختيار موقع مناسب فوق الهضبة ثمّ يقومون بعد ذلك برسم حدود المدينة بأسوار وأبراج، وأخيرا يقوم السكّان بتشييد مساكنهم انطلاقا من حوالي محيط المسجد مرورا بالشوارع وأنواعها إلى غاية الأسوار، وبالطبع فإنّ بناء المساكن يتمّ على قواعد عرفية عمرانية بحتة تستند على أسس أربعة، يأتي في مقدّمتها تعاليم الدين الإسلامي ثمّ النشاطات الاجتماعية، وعنصر الاقتصاد ومعطيات المحيط البيئي[3].(الصورة 11)

1- خصائص المدن بوادي مزاب:

تعتبر مدن مزاب مرآة تعكس الوجه الحقيقي للمدن الإسلامية، بما تحويه من قيم إجتماعية وثقافية، ممّا إنعكست على الطابع العمراني والمعماري، ذلك أدى الى إكسابها مجموعة من الخصائص[4]، هي:

---

1 - بلحاج معروف، المرجع السابق، ص:50.

2 - ليندة علال، دور الحركة التجارية في ازدهار قصور إقليم توات ووادي مزاب وتطورها خلال العصور الحديثة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في العمران، المدرسة الوطنية المتعددة التقنيات للهندسة المعمارية والعمران، 2012م، ص:191.

3 - مقابلة مع الأستاذ صالح بن عمر سماوي، عند دكان صالح عبد العزيز بساحة السوق، يوم 18 أفريل 2012م.

4 - ابراهيم بن يوسف، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، الجزائر، 2010م، ص ص 93 - 107.

1-1- العضوية:

تتمثل في النسق العضوي الذي يقوم على التكامل بين مجموعة من العناصر والجامع، الذي يعتبر العنصر المحوري الموحد والهيكل للأعضاء والنظم لحركته والأحياء التي يستمد منها المركز قوته وأسباب وجوده واستمراريته، والمسالك والأروقة التي تمثل الشرايين الموصلة بين الأعضاء التي تنتظم عبره الحركة بحيث تبدوا العناصر الثلاثة متداخلة ومتكاملة ومنسجمة. (الصورة 10،8)

1-2- التوزيع الوظيفي:

تتوزع الوظائف العضوية المختلفة داخل مدن مزاب، وفق التوزيع التصميمي في انسجام كامل، فالمسجد المركزي يقوم بالوظيفة الدينية والسياسية والإدارية والأحياء تقوم بوظيفة الاتصال والتواصل ، ويقوم محيط المدينة بالوظيفة التجارية عن طريق السوق.

يسمح هذا التوزيع بتقسيم المجالات إلى مجالات عمومية تسود فيها تعاملات معينة يحكمها التكافل والتكامل والانسجام، والى مجالات خاصة تحكمها حرمة المكان وعدم الاعتداء المادي واللامادي على الجوار، هكذا ينتج انسجام قياسي بين جميع مكونات المدينة وعلاقة مطابقة قياسية بين الجزء والكل وفق تدرج هرمي مدروس.

1-3- المركزية:

تعود فكرة المركزية إلى البعد الفكري للمنظومة الإسلامية القائمة على المركز الذي يحتله الدين في الحياة اليومية، وهذا المبدأ هو العنصر البارز في النظام العضوي الكلي للمدينة، ولا تحمل المركزية مفهوما هندسيا فقط، لكون المركز يمكن ألا يتطابق مع المركز الهندسي، وإنما تدل على وجود القلب المحرك للنشاطات الحضرية والمهيكل للنسيج العمراني الكلي للمدينة[1].(الصورة 10،8)

تقوم مدن مزاب بدور الاستقطاب الكلي بما يحيط به وهناك تنوع وتدرج هرمي في المراكز حسب الحجم بحيث يرتكز كل منها على مجال غير مبني .كما انه يرتكز على الساحة الكبرى أو فيناء المسجد والحي يرتكز على فراغ يسمى برحبة المسكن، المرتكز على الفناء المركزي (وسط الدار).

1-4- التدرج الهرمي للمجالات:

إستوجب مبدأ الحرمة لمحاولة حماية المكان واستتاره عن النظر الخارجي، لهذا قد تم اعتماد مخطط عمراني للمدينة يقوم على تدرج مجال محكم للمرور من المجال العمومي المتمثل في المسجد والسوق إلى المسكن الذي يعتبر مجالاً خاصا، وترسم الجدران الخارجية للدار حدود المجال(الحرمة) الذي ينبغي مراعاته، والتي لا تنفتح على الخارج إلاَّ بمدخل أو فتحات مدروسة، وعلى هذا الأساس قسمت المسالك إلى شوارع وأزقة ودروب، يتم المرور منها، وفق ثلاث مراتب:

- تدرج تام: شارع، زقاق، درب، دار.

1 - ابراهيم بن يوسف، المرجع السابق، ص: 95.

– تدرج نصف تام: شارع، زقاق، دار.

– تدرج بسيط: شارع، دار.

حرص المصمّمون على ضمان تدرج تام أو شبه تام للمجالات العمرانية، حفاظاً على حرمة المجالات الداخلية ما كان ذلك ممكناً، ويُعطي هذا التنظيم المجالي المحكم نسيجاً عمرانياً متضامناً ومتراصاً وذو كثافة عالية. (الصورة 10،8)

1-5- العمائر الدينية:

لقد نشأت مختلف المباني الدينية الإسلامية الإباضية في مزاب بسيطة في بناءها، ولم تتطور في أساليب إنشاءها على مر الزمن وبقيت محافظة على تلك الحال من البساطة والتقشف في البناء طوال قرون من الزمن.

أ- المسجد:

يأتي على رأس هذه العمائر المسجد الذي يعد عند المجتمع المزابي إضافة إلى دوره الديني، فإنه يعد مركزا ومقرا للسلطة الروحية ومكانا للقضاء وإصدار الفتوى، وتنظيم حلقات الدرس، وممارسة التعليم إلى جانب دوره كمخزن للمؤن، ومن هنا فإن المسجد يعد القلب النابض للمدينة المزابية، فيبعث فيها الحياة، ويعمل على تأطير المجتمع دينيا واجتماعيا، لذا فقد أراد المعماري المزابي تجسيد هذه المنزلة المرموقة للمسجد لدى المجتمع المزابي تجسيدا معماريا، فاختار له موقعا استراتيجيا يتماشى ومكانته واحتلّ مكانا في أعلى قمة الهضبة التي تتدرج فوقها مباني المدينة، فأصبح يشرف بذلك على كل المنشآت الأخرى، وقد زاده رفعة وشموخا تلك المئذنة الهرمية الشكل[1].(الصورة 11)

ب- المدارس[2]:

منذ أن استقر الإباضيون بمنطقة وادي مزاب عملوا على نشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وبخاصة تعاليم المذهب الإباضي، وأولو للغة العربية وفنونها عناية خاصة، وقد اعتمدوا في ذلك على نظام تعليمي وتربوي خاص، وشيدوا في سبيل ذلك منشآت تجانب المساجد، اطلق عليها اسم المدرسة أو المحضرة، التي تسهر على تطبيق هذا النظام التربوي والسيرورة الحسنى للمناهج المسطّرة من طرف هيئة إدارية وتدريسية ذات كفاءة.

جـ- المصليات الجنائزية:

تتموقع خارج المدن بداخل المقبرة، وهي منشآت لأداء صلاة الجنازة أو ممارسة بعض الطقوس الدينية التي لها علاقة مباشرة بالميت، تقام بجانب مدفن عالم من علماء المنطقة وتأخذ اسمه تكريما لشخصهم ولمجهوداتهم العلمية والإصلاحية التي قدّموها لمجتمعهم. (الصورة 10،8)

1- بلحاج معروف، المرجع السابق، ص:92.

2- نفسه، ص:135.

تؤدي المصليات الجنائزية دورا أساسي في ميدان التعليم وهذا اقتداء بأسلافهم الإباضيين الذين يتخذون من الأماكن البعيدة عن التجمعات السكانية، دورا للبحث العلمي وتدريس الطلبة في العلوم الدينية والشرعية.

يمكن ملاحظة نوعين من المصليات الجنائزية في منطقة واد مزاب:

النوع الأول: عبارة عن مصليات جنائزية مغطاة لها نمطين هما:

– المصليات الجنائزية ذات القباب: يدخل ضمن هذا النوع كلّ المصليات الجنائزية المغطّاة جزئيا أو كلّيا بقباب بارزة من الخارج أو مضمرة ومغروسة في السقف.

– المصليات الجنائزية ذات الأقبية: يعد هذا النمط أكثر الأنواع انتشارا في منطقة مزاب، وقد غطيت الفراغات الضيقة الناتجة عن تقاطع البوائك السائرة في الاتجاهين العمودي والموازي لجدار القبلة، بأقبية نصف برميلية أو أقبية متقاطعة، وقد ساعد على انجاز هذه الأقبية سهولة توفر مادة الجريد في المنطقة[1].

النوع الثاني: عبارة عن مساحات مكشوفة محاطة بسياج جداري قصير، يمكن أن نطلق عليها اسم المصليات الجنائزية المكشوفة[2]، إذ فتحت في واجهتها القبلية عنزة تبين اتجاه الكعبة، كما فتحت على جدرانها عدد كبير من الكوات التي تسمح بوضع الأحذية والمصاحف والأدوات اللاّزمة لأداء الشعائر الدينية، ويبدو أنّ المصليات المكشوفة تشيّد بعد دفن العالم الذي ستحمل المقبرة اسمه.

د– المقبرة:

خطط المزابيون مقابرهم خارج المدينة كما هي حال المدن الإسلامية، حيث تشكل مدينة حقيقية للأموات، إذ تمتد على مساحة شاسعة بتصميم مخطط في شكلها ومنافذها وطرقها، كل مقبرة مخصصة لعشيرة من عشائر البلدة لدفن موتاهم وفق نظام دقيق، كما أنها تكنّى بأحد أسماء شيوخ المنطقة المدفون بالمقبرة، وتعتبر حاجزا أمام التوسع العمراني، ولأهميتها صممت لها طرق خاصة تربطها بالمدينة.

تظهر القبور الإباضية كلها متشابهة ومتساوية، باستثناء تلك المقامات التي تحتضن رفات بعض العلماء والفقهاء، فالقبر لا يبرز عن الأرضية أكثر من شبر كما ينصّ على ذلك الفقه الإسلامي، وذلك لكي يعرف القبر، فيصان ولا يداس بالأرجل، ويتمّ تحديد الرأس والأرجل بواسطة أحجار مصفّحة مثبّتة عموديا، ويضع أهل الميت على طول القبر آنية الشراب أو الأكل مصنوعة من الفخار أو الخزف، وتكون ذات أشكال وأحجام مختلفة للتّمييز والتّعرف على فقيدهم من الآخرين.(الشكل 2).

---

1 – بلحاج معروف، المرجع السابق، ص:203.

2– نفسه، ص:138.

1-6- العمائر المدنية:

تتميز المدن الإسلامية في وادي مزاب، بطابعها المعماري الفريد نتيجة الاستجابة لعدة عوامل(مناخية، جغرافية، دينية، ...)، يظهر ذلك جليا من خلال مواقع المدن ومنهجية تخطيطها وصولا إلى المنشآت العامة والمساكن الخاصة حيث تبدي جميعها بساطة في الحجم ووحدة في المظهر في تناسق وانسجام عام، خاضعة للعرف المحلي للعمران المرجع المتّبع في إنشاء المدن وصياغة فضاءاتها[1].(الصورة 11)

أ- المسكن:

تعتبر المساكن الخلايا الرئيسية المكونة لنسيج المدن فهي تشترك مهما كان حجمها في عناصر أساسية تختلف اختلافا طفيفا بين مسكن وآخر وتتوزع هذه العناصر بين الطابقين الأرضي والعلوي والسطح ونادرا الطابق السفلي[2]. (الشكل 3)

تجسد تصاميم المسكن التقليدي انعكاسا لفكر المجتمع وقيمه، فهو بذلك يوفر الراحة النفسية لساكنيه، ويحوي مختلف الفضاءات المعيشية بتوزيع منتظم حسب الاستعمال، وفي تأقلم دائم مع التقلبات المناخية مما يوفر أجواء معتدلة على مدار السنة، إضافة إلى رحلتي الشتاء والصيف بين المدن والواحات بحثا عن المناخ الملائم.

كما يعتمد المسكن التقليدي على المركزية في التوزيع الفضائي انطلاقا من وسط الدار الذي يعتبر الحلقة الرئيسية التي تربط بين مختلف فراغات الطابق الأرضي ومنه يتم التنقل إلى الطابقين العلوي والسفلي[3].(الشكل 3)

رغم أن المسكن المزابي يخضع في تخطيطه وهيكلته لأسس المسكن المنتشر في البحر المتوسط وفي شمال إفريقيا على الخصوص، وذلك باعتماده على فراغ أو فضاء يتوسطه ويهيكل مختلف الفضاءات حوله، إلاّ أنه له خصوصيات تميزه عن غيره وذلك ناتج عن تفاعله مع محيطه الطبيعي(الجغرافي والمناخي)، إضافة إلى أنه كان انعكاسا لفكر المجتمع ونمط حياته، إذ نجد أنّ المساكن كلها (مهما كان حجمها) تعتمد على طابقين أحد هذين الطابقين أرضي لا يتصل عادة بالفضاء الخارجي إلا من خلال المدخل وفتحة الشباك، الذي من خلاله أيضا تنفذ أشعة الشمس ويتم تهوية مختلف مجالات المسكن، بحيث تكون الطوابق الأرضية كأنها مبنية تحت الأرض مما يوفر لها عزلا حراريا جيد، أما الطابق العلوي فالمساحة المبنية فيه غالبا لا تتعدى المساحة الغير مبنية التي

1- ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، العرف في البناء التقليدي بوادي مزاب، غرداية، الجزائر، 2002م، ص:05.

2- ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، المسكن التقليدي وعرف العمران بالقطاع المحمي لسهل وادي مزاب، غرداية، الجزائر، 2004م، ص:03.

3 - بلحاج معروف، محمد جودي، النسيج العمراني لمدن وادي مزاب، مجلة منبر التراث الأثري، مخبر التراث الأثري وتثمينه، جامعة تلمسان، 2012م، ص:72-73.

تستعمل كسطح وهو ذو أهمية بالغة في فصل الصيف وخاصة في الليل حيث ينزل الهواء البارد الذي يحدّ من حرارة الشمس خلال النهار[1]، وتشترك المساكن في مزاب باختلاف أحجامها على عناصر أساسية بين الطابقين الأرضي والعلوي.

ب- المسالك والدروب:

تعتمد الحركة داخل المدينة على شوارع، البعض منها مسقف، منشئة بذلك مجالا مكيفا للمناخ صيفا وشتاء، كما أنها غالبا ما تكون متعرجة على شكل متاهات وشرايين تتصل الرئيسية منها بأبواب المدينة، لتربط هذه الأخيرة بالعالم الخارجي، وقد كانت هذه الأبواب المؤدية إلى الأنهج تغلق لحماية المدينة من الخطر الخارجي[2].(الصورة 11)

في مخطط المدينة نلاحظ للطرق شكل متميز، يأخذ شكلاً دائريًا وشعاعيًا، وهذا نتيجة عوامل مثل كون المسجد يتمركز وسط المدينة، أوجب إبرازه من أي مكان أو بالأحرى من أي طريق أو مسلك، أضف إلى ذلك أن هذا الشكل الدائري للطرق يتناسب ويتوافق وطبيعة المنطقة الجبلية والصخرية في آن واحد، حيث أن الطرق الدائرية الصاعدة من الأسفل إلى الأعلى تسمح وتسهل حركة التنقل داخل المدينة، وتخفف من التعب والإجهاد بالنسبة للمسنين، كما استعملت نسبة من الانكسارات، واستحدثت درجات لتسهيل هذه الحركة والانتقال من الأسفل إلى أعلى والعكس، وهذا لتفادي الانزلاقات نظرًا للانحدار الشديد، وهناك بعض من هذه الطرقات مسقف في بعض أجزائه[3].

إنّ توجيه الطرق الرئيسية والكبيرة شمال جنوب، لم يكن اعتباطا بل لكي تكون عمودية مع أشعة الشمس، وحركتها الظاهرة، فصار للشوارع ظلال طول النهار، مما يخفف درجة الحرارة المرتفعة جدًا في فصل الصيف خاصة في المساكن، كما أنّ هذا التوجيه يكسب الطريق حركة دائمة للهواء داخلها عن طريق الرياح الشمالية.

تتدرّج وتنقسم الشوارع من حيث الموقع والأبعاد وعدد المستعملين إلى ثلاثة أنواع هي[4]:

- **الشوارع الرئيسة:** هي التي تربط المسجد بالسوق والمدخل الرئيسي للمدينة، ويتراوح عرضها ما بين (2.6م- 3.00م).
- **الشوارع الثانوية:** هي المسالك النافذة والتي تربط ما بين الشوارع الرئيسية، ويتراوح عرضها ما بين (1.8م - 2.60م).

---

1 - مختار قرميدة، المساكن التقليدية بوادي ميزاب، دراسة فنية معمارية، ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، غرداية، 2001م، ص:6.

2- ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، العرف في البناء...، المرجع السابق، ص:19.

3- أحمد أبي العباس بن محمد بن بكر النفوسي الفرسطائي، القسمة وأصول الأرضين كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تح وتع وتق بكير بن محمد الشيخ بلحاج، محمد صالح ناصر، ط2، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1997م، ص:24-25.

4- ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، العرف في البناء...، المرجع السابق، ص:19.

- **الشوارع الخاصة:** هي الشوارع الضيقة وغير نافذة يحصر استعماله إلا لسكان الحي، ويتراوح عرضها ما بين(1م-1.4م).

جـ- السوق:

تشيّد المساكن حول المسجد وتصطفّ في حلقات متحدة المركز إلى غاية الحصون، حيث يتواجد داخلها وبالقرب منها ساحة السوق، أي في طرفها ليلتصق بذلك بالحصن، وليكون مجالاً مشتركًا بين المدينة وخارجها، كون هذا الاختيار فيه حد من حرية الغريب الذي يدخل المدينة والذي يعتبر دخيلاً وغير مراقب اجتماعيا.

لذلك نجد دائمًا وفي مختلف مراحل نمو المدينة تحولاً دائمًا في مكان السوق، الذي يستوجب أن يكون على مشارفها، والذي يمثل نقطة الوصل بين الداخل والخارج، وباعتباره يمثل مركزا للحياة الحضرية والاقتصادية وموقع للتبادل التجاري بين سكان المدينة والبدو من القبائل المجاورة والوافدين على المدينة، ورغم أن السّوق مجال عام في المدينة إلاّ أننا نجده مقصورًا على الرجال دون النساء والصبيان وحتى الشباب.

ما يلاحظ أن أسواق مدن الشبكة ليس لها شكل ثابت ومنتظم، بل أشكال متعددة ومتقاربة في آن واحد، تتراوح بين المثلث والمستطيل، وكلها في شكل ساحات ذات واجهات متعددة ومتقابلة تساعد على التجمع والالتقاء والمراقبة خاصة، بحيث يكون الشيوخ والتجّار على أطرافها مشكلين حلقة دائرية لتتمّ عمليات البيع والشراء، بساحة السوق تفتح أبواب الدكاكين المحيطة به والمركبة لمختلف واجهاته، وتحتوي هذه الدكاكين في الكثير منها على طابقين يكون الطابق العلوي مخزنًا، بينما يمثل الطابق الأرضي مجالاً للبيع والشراء وتوجد بين هذه الدكاكين مقرات مجالس العشائر بحيث تكون منتشرة على طول واجهات السوق، هذه المقرات يجتمع فيها أعضاء مجالس العشائر، للتشاور والنظر في أمور عشائرهم، كما أن هذه المقرات مجهزة بمقاعد مبنية أمامها على شكل مسطبات على امتداد واجهات السّوق، مخصصة للشيوخ والتجار.

من المكونات الأخرى للسوق نجد البئر للسقاية، والمسطح للصلاة، والدكاكين والأروقة وهي تتطابق مع النسب المخصصة للمسجد والمسكن، فروعيَ مبدأ عدم التبذير والاكتفاء بقدر الحاجة، وأنّ هذه العناصر تلائم حجم الإنسان.

د- واحات النخيل:

تقع بالقرب من كل مدينة واحات من النخيل مقسمة إلى بساتين، تشكل نموذجًا معماريًا وعمرانيًا مستقل بذاته، فالأنهج الضيّقة التي تكوّنها حيطان البساتين المبنية بالطوب لا تعدو أن تكون بمثابة قنوات موسمية استعملت بها منافذ مقيّسة، بحيث لا ينفذ منها إلاّ القدر المحدد لكل بستان لا غير، وإذا كان خلف البستان بستان آخر فإنه يحظى بقسطه من ماء القناة بواسطة ميزاب يخترق الجدار المشترك.

وتحتوي الواحات على العديد من منشآت الري التقليدية الخاصة بتخزين مياه سيلان الأمطار في جوف الأرض، في السدود، وكذا صرفها وتوزيعها بأسلوب دقيق وحكيم داخل البساتين، بفضل القنوات الأرضية والسواقي المائية، تطورت هذه الواحات إلى مراكز للاصطياف، حيث ازداد عدد المنازل داخل تلك الواحات، للسكن فيها طيلة فصل الصيف للاستفادة أكثر من هوائها المنعش بفضل ظلال النخيل وكذا توفر المياه العذبة[1].(الصورة 10،8)

1-7- العمائر الدفاعية:

عرفت مدن منطقة مزاب منشآت دفاعية تستجيب لمبدأ الدفاع عن النفس وحماية الأرواح والممتلكات من الإعتداءات الخارجية التي يمكن أن تهدد سلامتها واستقرارها، فلختيار قبائل بني مزاب لهذه الأمصار لم يكن محل الصدف، وتخطيط مدنهم على التلال الصخرية ليعتبر وحده مظاهر التحصين والإمتناع، فهي محصنة طبيعيا[2]، اجتمع فيها من عنت الحياة وقساوة الطبيعة ما يطرد الإنسان منها، ولا يقبل عليها إلاّ اذا كان مضطّرا. (الشكل 2)

إنّ المؤسّسين الأوائل لمدن منطقة وادي مزاب، أدركو ما للموقع المرتفع من ميزة الحصانة الطبيعية والمنعة والأمن، فآثرو بذلك قمم التلال المشرفة على وادي مزاب لتكون لهم عونا في مواجهة كل إعتداء خارجي وبناء مساكنهم، لفسح المجال في سفوح وضفاف الوادي للغراسة والفلاحة وإنشاء الواحات.

أ- أسوار المدينة وأبوابها:

تلي مرحلة تحديد رقعة المدينة بتخطيط سورها الدفاعي، الذي تتخلله مداخل بأبواب وأبراج مراقبة ودفاع، كانت معزّزة بالحراسة فيما مضى، للدفاع ضد العدو ووقايتها من فيضانات الوديان. (الشكل 2)

- الأسوار:

كان السور يحدد مسبقًا حجم المدينة المزمع بناؤها، وكان قبل ذلك ما يتشكّل ويتكوّن من ظهور المنازل التي لها منافذ وفتحات إلاّ إلى الداخل.

في مدن مزاب نجد نوعين من الأسوار: السور الذي يعتبر بناءً قائماً مستقلاً عن الكتلة السكنية، ويحيط بمجموع المساكن في امتداد دون انقطاع، كما هو الأمر بسور مدينة بني يزقن وبسور مدينة غرداية قبل أن يندثر.

1- ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، النظام التقليدي لتسيير وتقسيم مياه السيل بوادي مزاب، 2008م، ص:02.

2- M. Huguet; Les conditions générales de la vie au M'Zab, La médecine et les pratiques médicales indigènes, p: 221.

النوع الثاني من الأسوار نجده ممثّلا في الواجهات الخارجية للمساكن التي في أطراف المدينة، مشكّلةً واجهات مصمته عالية تقوم مقام جدار السور، كما هو الأمر بالنسبة لأجزاء من مدينة العطف وفي الواجهة الجنوبية الغربية لمدينة بنورة[1].

إلاّ أن النمو السكاني لهذه المدن كان يضطر سكانها إلى توسيع المدينة الأصلية حيث يدحر الحصن ويحول موقع السوق بالتالي إلى أطراف المدينة، وهذه الامتدادات والتوسيعات خاصة التي جاءت في أوقات متأخرة جعل بعض المدن تتحصن بأسوار مستقلة عن بيوت السكان، حيث تفصل بينهما مسافة أو بالأحرى اتساع عريض، كما هو الحال في مدينة بني يزقن التي يبلغ طول آخر أسوارها 2500م، وبارتفاع مقداره 03 م، ويتخلله خمسة 05 أبواب، وأبراج متفاوتة الأهمية، كبرج بوليلة، هذا البرج يعلو المدينة، وارتفاعه حوالي 14م، ويتألف من خمسة 05 طوابق يستند إلى دعامتين تسمى الواحدة منهما "بوليلة"، ومنها استلهمت هذه التسمية.

تتوضع بالواحات وحدات دفاعية تتشكل من أبراج للمراقبة على شكل نقاط متقدمة تسمح بإنذار المدينة بنفس الطريقة المتبعة في أبراج المدن، أي بإشارات ضوئية، ومن أقدم هذه الأبراج نجد برج " أولوال " بالعطف، وهذه الأبراج في أغلب الأحيان ذات قاعدة مربعة الشكل يتراوح طول ضلعها ما بين 05- 07م، وارتفاع يصل أحيانا 14.5م، مقسمة إلى طابق أرضي يعلوه عدد من الطوابق يتراوح عددها ما بين 02 – 04 طوابق بحسب أهمية البرج، ويعلوها سطح يصل بينها أدراج، أما واجهات هذه الأبراج ليس بها سوى فتحات للمراقبة والإنذار بالإضافة إلى المدخل.

إمعانا في توفير جو من الاستقرار والأمن لمدن وادي مزاب حرص المؤسّسون على أن تكون قريبة من بعضها حتى يكوّنوا سندا لبعضهم عند طروق الخطر، وتعتبر هذه الأسوار في أعين المزابيين شيئا لا يمكن المساس به، ولا يمكن لأي شخص مهما كان مستواه الاجتماعي أن يتعرّض إلى السور بإحداث ما يمكن أن يؤثّر فيه، وكان لحلقة العزّابة حق التّدخل لوضع حد لأي عملية تستهدف الأسوار.

وقد كانت الأسوار تتلقى العناية خاصّة في أوقات السّلم، وكان لكل حي قسطا من مسؤولية صيانة السور في حالة الأمن وقسطا من الحراسة عندما تضطرب الأوضاع[2].

- الأبواب:

كما أن هذه الحصون بها أبواب ترتبط بطرق المدينة الرئيسية وتربطه بمختلف المجالات الخارجية المحيطة به كالمقابر، الواحة، طرق السفر، وكانت هذه الأبواب المؤدية إلى الأنهج تغلق لحماية المدينة من الخطر الخارجي، وتتخذ الأبواب شكل برج يخترقه ممر في الطابق الأرضي. (الشكل 2).

1- يحيى بوراس، المرجع السابق، ص:37.

2 - Marcel Mercier, op.cit, p :119.

1-8- مواد البناء:

إنّ مواد البناء عادة ما تكون محلية لما لها من صفات التكيف مع البيئة، ووفرتها في المنطقة وعطالتها الحرارية المرتفعة أي أن لهذه المواد دور المخزن يملأ نهارا ويفرغ ليلا، كما تعطي للبناية على مدى السنة درجة حرارية داخلية قارة تقريبا، فكون منطقة وادي مزاب تقع في منطقة متميزة جيولوجيًا، لم يكن مانعًا أو حادًا لعملية إعمار المنطقة، بل على العكس من ذلك تماما فقد أسهمت هذه الطبيعة الجيولوجيا والبنية التحتية للمنطقة في العملية أيما إسهام، بتوفيرها للأهالي والبناة الأوائل المواد الأولية لعمارتهم النموذج، حيث كان اعتمادهم عليها كليا بالإضافة إلى شجر النخيل ومشتقاتها الأخرى كلها تنموا وتصنع وتستخرج من المنطقة، وقد جعلت هذه الطريقة من العمارة في مزاب أنسبها على الإطلاق، وأكثرها تكيفا مع مناخ يصعب العيش فيه صيفا وشتاء، وقد أثبت هذه الخصائص علميا، ويمكن تلخيص هذه المواد فيما يلي:

يليه، وهكذا دواليك، وتمنح هذه التقنية جمالا للجدران.

أ- بناء العقد:

قلّما يتخلى البنّاء المزابي عن العقد، الذي يعتبر من بين أهم العناصر المعمارية الوظيفية التي يقوم بها، والمتمثّلة في توزيع ثقل السقف على بدن الجدران، وبالتالي على الأسس[1]، زيادة على أنّه يغنينا عن الاستعمال المفرط للمادّة الخشبية.

يتّم بناء العقد في الغالب بتقويس مجموعة من السّيقان قبل جفافها، في المكان المراد بناء العقد فيه، مثلا كأن يكون هيكلا ساندا للسقف، أو عقدين عموديين حاملين...الخ، ثم يربط بواسطة ألياف نباتية، غالبا ما تكون من سعف النخيل أو من خيوط جلدية (جلد الإبل) رقيقة، وهذا بهدف تثبيتها في مواضعها، ثم بعد هذا يحضّر ملاط التّمشمت ويوضع على السيقان، متبوعا بصفائح حجرية بوضعية مائلة، يتخللها مادة التّمشمت اللاّحمة، وعند انتهاء منه تملأ الفراغات، وتكسى حوافه وقاعدته بملاط التّمشمت تنتج لنا الخطوات المتبعة سلفا عقدا نصف دائري، على شكل قطاع الدائرة في أغلب العمائر، زيادة على العقد الحدوي، نظرا إلى أنّ الطريقة المتبعة لبناء العقد أتبعت في كثير من قصور الصحراء فإنّنا نلاحظ العقود الشائعة بها هي عقود نصف دائرية[2].

1- يحيي بوراس، المرجع السابق، ص:145.

2- علي حملاوي، قصور منطقة جبال عمور (السفح الجنوبي) من القرن 16 – 19 م، دراسة تاريخية أثرية، أطروحة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2000م، ص: 130-131.

ب- بناء السقف[1]:

- السقف المسطّح:

يتشكل السقف المحمول من عوارض، من جذوع النخيل تصطف وتترك فيما بينها مسافة (0.2م الى0.3م)، ثم تصطف فوقها سيقان الجريد تماس شديد تكون إمّا بسعفها أو بدونه، تشّد إلى بعضها بواسطة ألياف نباتية أو خيوط جلدية، ثم توضع عليها سعف النخيل لسد الفراغات، وقد تصفف أحيانا بأحجار دقيقة السمك (مصفحة)، ثم يوضع الجبس وفوقه الصّفائح الحجرية، ثم بعده طبقة طينية قد يصل سمكها إلى 0.3م، وأخيرا قشرة من ملاط الجير الممزوج مع الرمل سمكها 0.02م تقريبا[2].

نظرا لقصر طول الجذوع الخشبية المستعملة، فإن المعماري المزابي يتجه إلى استعمال العوارض، كشكل من أشكال التدعيم للسقف.

- السقف المحمول على الأقباء الصغيرة:

هي من التقنيات التي استعملت في تسقيف العمائر في وادي مزاب، ويتم إعداد هذا التسقيف بوضع العوارض الخشبية من أعجاز النخيل، على جدارين مع ترك مسافة متساوية بين العوارض، تصّل في المتوسط إلى0.35م، يوصل بينهما بثلاثة أشرطة خشبية، تشد الأطراف بحجارة وملاط التّمشمت ليتم تثبيتها، ثم يشرع في بناء أقباء صغيرة بواسطة ملاط الجبس اللّحم، وصفائح صغيرة من الحجر الجيري، عند صفاف مادة البناء تنزع الصفائح الخشبية، ثم تكسى بطون الأقباء الصغيرة بكسوة من الجبس، ويأخذ السقف عادة شكل قطاع من الدائرة، أو النصف دائري.

- الزخرفة:

من الملاحظ في العمارة في وادي مزاب خلوها الشبه التام من الزخارف، خاضعين في ذلك لفكرة التقشف والبساطة في البناء، استنادا إلى تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وأيضا بسبب طبيعة المنطقة الصعبة، ونقص المواد الأولية، وقد سعى البناء بفضل تشكيله وترتيبه المتميز للعناصر المعمارية المختلفة باعتماده على الجانب الوظيفي للفضاء المعماري إلى إضفاء جمال روحي على تلك المنطقة.

1- ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، أنواع التسقيف في البنايات التقليدية بوادي مزاب، غرداية، الجزائر، 2013م، ص:19.

2 - Donnadieu C,et P / Didillon H et J.M; op,cit, pp: 94 – 95.

الخاتمة:

إنّ الكنز التراثي المعماري المبني لمنطقة مزاب بمختلف أنواعه وأنماطه، يعدّ حقيقة مصدر ومدرسة للعمارة، لما يتوفر عليه من قيم دينية ومعمارية واجتماعية واقتصادية وثقافية، لكن من المؤسف فرغم امتلاكنا لهذا الزّخم المتبقي من التراث الثقافي المبني[1]، تبقى عملية الاستلهام منه ودراسته مقتصرة فقط على الجانب الظاهري منه دون التعمق في معرفة وظيفية ووراثية كل عنصر بنائي فيه، لأن أهميته بالنسبة إلينا هي الاستفادة من خبرات الماضي، لنفقه حاضرنا، ونستشرف لمستقبلنا.

تتميز المدن العتيقة في وادي مزاب بنمطها المعماري المتميز من حيث وحدتها المتجانسة وتخطيطها المحكم، فكل مدينة قد بنيت على أعلى قمة الجبل لغرض دفاعي محض، يتوسطها المسجد الذي تعلوه مئذنة هرمية الشكل وتلتف حوله منازل تتخللها أزقة ضيقة وملتوية مشكلة بذلك حلقات دائرية حول المسجد، وفي سفح المدينة ساحة سوق للتعاملات التجارية، وكل مدينة محاطة بسور دفاعي تتخللها أبراج للمراقبة تمّ تصميمها وتخطيطها بهذا الوضع للحصانة الدفاعية وأن تكون في مأمن من سيلان الوادي وأن تحافظ على الأراضي الزراعية القليلة.

تتشابه مدن وادي مزاب من حيث تخطيطها وتحديد رقعتها وكذا اختيار موقع إنشائها، ولكنها في الوقت نفسه تتمايز فيما بينها من حيث الطريقة التي استخدمتها كل مدينة من تلك المدن في استغلال موقعها الطبيعي.

1 - Merrad Djamel, Evaluation de la qualité environnementale dans le secteur sauvegardé cas d'étude Casbah D'Alger, mémoire de magistère option Architecture et Environnement, Ecole Polytechnique D'architecture Et D'urbanisme, 2012.

البيبليوغرافيا:

المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

1- أبو زكريا يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق وتح: عبد الحميد حاجيات ،ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1996م.

2- أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، الملل والنحل، تح أمير علي مهنا، ج1، ط6، دار المعرفة، بيروت، 1997م.

3- أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر النفوسي الفرسطائي، القسمة وأصول الأرضين كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تح وتع وتق بكير بن محمد الشيخ بلحاج، محمد صالح ناصر، ط2، جمعية التراث، القرارة، غرداية،1997م.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج:7،دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، القاهرة- بيروت، د. ت.

5- الحاج سعيد يوسف، تاريخ بني مزاب دراسة اقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، 2003م.

6- التريكي محمد، بوزيد خالد، المعمار والممارسات الاجتماعية مزاب بين الماضي والحاضر، رسالة دكتوراه الدرجة الثالثة، المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة المعمارية والتعمير، تونس، جوان 1989م.

8- بوراس يحيى، العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب، (نموذج بني يزقن)، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر،2002 م.

9- بن يوسف إبراهيم، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، الجزائر، 2010م.

10- ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، أنواع التسقيف في البنايات التقليدية بوادي مزاب، غرداية، الجزائر، 2013م.

11- ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، المسكن التقليدي وعرف العمران بالقطاع المحمي لسهل وادي مزاب، غرداية، الجزائر، 2004م.

12- ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، النظام التقليدي لتسيير وتقسيم مياه السيل بوادي مزاب، 2008م.

13- ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، العرف في البناء التقليدي بوادي مزاب، غرداية، الجزائر، 2002م.

14- حملاوي علي، قصور منطقة جبال عمور (السفح الجنوبي) من القرن 16 – 19 م، دراسة تاريخية أثرية، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2000م.
15- ليندة علال، دور الحركة التجارية في ازدهار قصور إقليم توات ووادي مزاب وتطورها خلال العصور الحديثة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العمران، المدرسة الوطنية المتعددة التقنيات للهندسة المعمارية والعمران، 2012م.
16- معروف بلحاج، العمارة الإسلامية، مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية، دار قرطبة،2007م.
17- معروف بلحاج، جودي محمد، النسيج العمراني لمدن وادي مزاب، مجلة منبر التراث الأثري، مخبر التراث الأثري وتثمينه، جامعة تلمسان، 2012م.
18- مقابلة مع الأستاذ سماوي صالح بن عمر، عند دكان صالح عبد العزيز بساحة السوق، يوم 18 أفريل 2012م.
17- فرحات الجعبيري، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المطبعة العصرية، تونس، 1975م.
18- قرميدة مختار، المساكن التقليدية بوادي ميزاب، دراسة فنية معمارية، ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، غرداية، 2001م.

باللغة الأجنبية:

1-Claude Pavard, Lumières Du M' ZAB, Edition Dilroisse, Paris, France.
2- Huguet, Le Pays du M’zab in Bull de la Société de Géographie d’Algérie, Imprimerie Typographique et Lithographique Sélion, Alger 1898.
3- Marcel Mercier, La civilisation Urbaine au M'zab, Ghardaia la Mystérieuse, Edition P et G. SOU BIRON, Alger, 1932.
4-Merrad Djamel, Evaluation de la qualité environnementale dans le secteur sauvegardé cas d’étude Casbah D’Alger, mémoire de magistère option Architecture et Environnement, Ecole Polytechnique D’architecture Et D’urbanisme, 2012.
5- M. Huguet, Les conditions général de la vie au M’Zab, La médecine et les pratiques médicales indigènes.
6- Pierre Donnadieu et autres; Habiter le Désert, Les Maisons Mozabites, Recherches sur un type d’architecture traditionnelle: Architecture + Recherches/ Edition Pierre Mardaga, Bruxelles, 1977.
7- Pierre Roffo, contribution à l’Etude de la préhistoire du Sahara Septentrional, Ancienne Imprimerie, Alger, 1934.

الملاحق:

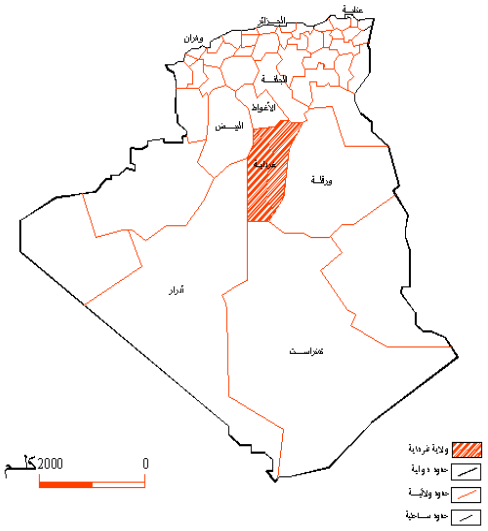

الشكل01: موقع ولاية غرداية بالنسبة للجزائر، عن مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية، غرداية.

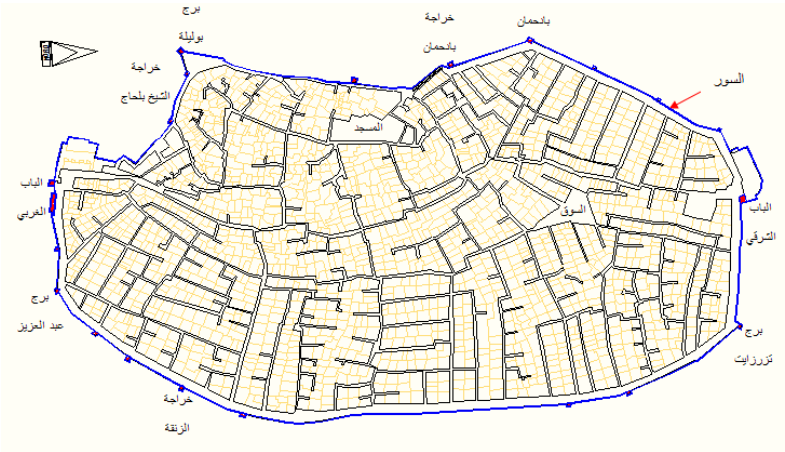

الشكل 02: مدينة بني يزقن عن OPVM.

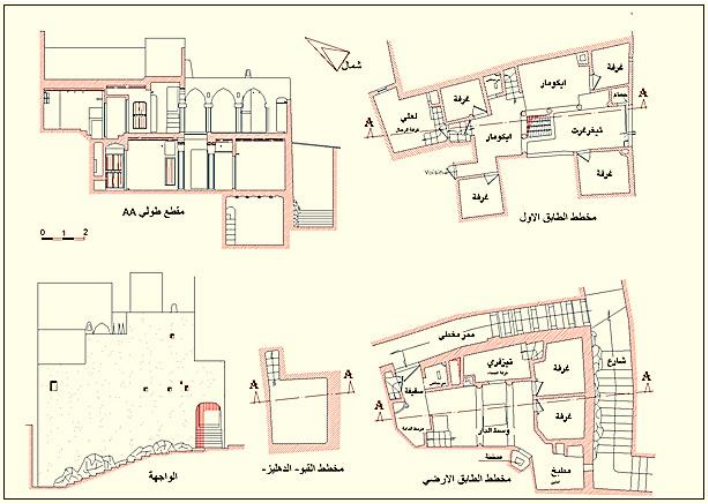

الشكل 03: مخطط المسكن التقليدي بمنطقة وادي مزاب عن .OPVM

الصور 01: موقع أخيرة-العطف-غرداية- عن OPVM.

الصور 02: موقع مومو- بني يزقن-غرداية- عن OPVM.

الصورة 03: صورة جوية لقصر أغرم ن تلزضيت - العطف- عن OPVM

الصورة 04: حصن قصر أغرم ن تلزضيت- العطف-

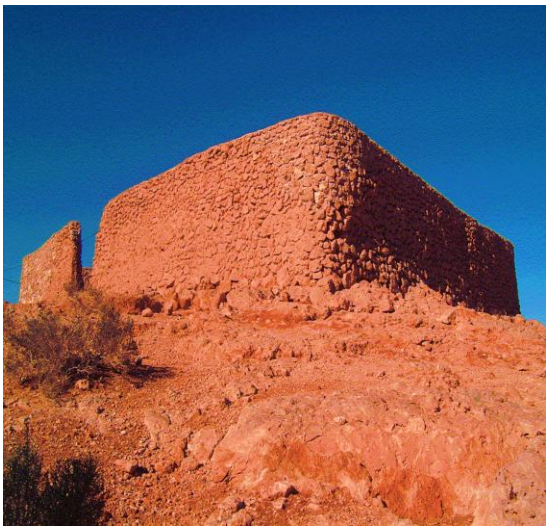

الصورة 05: حصن قصر أولوال- العطف-

الصورة 06: الموقع الأثري قصر بابا السعد-غرداية-

الصورة 07: مدينة العطف.

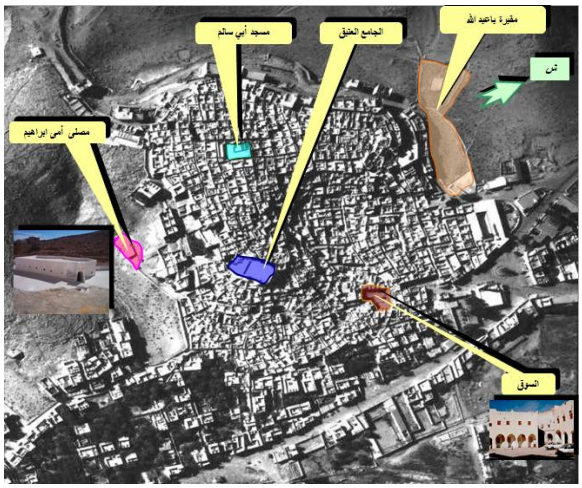

الصورة 08: مدينة العطف العتيقة وأهم فضاءاتها عن موقع Google Earth وبتصرف.

الصورة 09: مدينة بنورة.

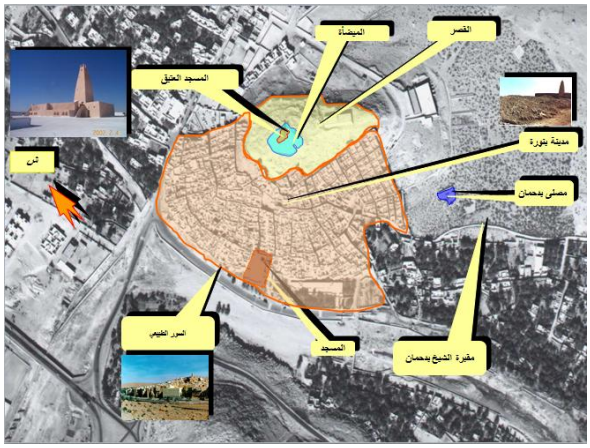

الصورة10: مدينة بنورة العتيقة وأهم فضاءاتها عن موقع Google Earth وبتصرف.

الصورة 11: عمران وعمارة مدينة غرداية عن OPVM.